التفسير المأمون

على منهج التنزيل والصحيح المسنون

بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير المأمون

على منهج التنزيل والصحيح المسنون

تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين
- الوحيين : القرآن والسنة الصحيحة -
على فهم الصحابة والتابعين

تفسير منهجي فقهي شامل معاصر

الجزء الأول

تأليف الأستاذ الدكتور
مأمون حموش

جميع حقوق الطبع والتصوير محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
1428 هـ ـ 2007 م

موافقة وزارة الإعلام
رقم: 91092
ورقم: 91451
تاريخ: 16/ 7/ 2006 م
دمشق ـ سورية

يطلب من المؤلف
دمشق هاتف: 3218471

المدقق اللغوي
الدكتور أحمد راتب حموش

لمحة عن المؤلف

الاسم: مأمون حموش

مكان وتاريخ الولادة: دمشق ـ سورية

الثلاثاء 17 ـ محرم ـ 1382 هـ

19 ـ حزيران ـ 1962 م.

الدرجات العلمية والتخصصية:

1 ـ إجازة في العلوم ـ رياضيات فيزياء ـ الترتيب الأول بامتياز ـ جامعة دمشق 1985.

2 ـ إجازة في الهندسة المدنية ـ جيد جداً ـ جامعة دمشق 1985.

3 ـ ماجستير في العلوم ـ جمل المعادلات التفاضلية ـ جامعة أوكلاهوما ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ 1988.

4 ـ ماجستير في الهندسة الإنشائية ـ قشريات ثنائية الانعطاف ـ جامعة أوكلاهوما ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ 1989.

5 ـ دكتوراة دولة في العلوم ـ رياضيات فيزياء ـ الجمل الديناميكية ـ جامعة آركنساس ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ 1993.

6 ـ دكتوراة فلسفة في الهندسة الإنشائية ـ نظرية المرونة ونظرية العناصر المنتهية والمحيطية في التحليل اللاخطي ومجالات التقارب ـ جامعة آركنساس ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ 1993.

7 ـ تخصّص في العلوم الشرعية مع حفظ القرآن الكريم وأغلب كتب السنة والسيرة الصحيحة.

المؤلفات العلمية:

1 ـ السيرة النبوية على منهج الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة (3 ـ مجلدات).

2 ـ أصل الدين والإيمان ـ عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان (2 ـ مجلد).

3 ـ تحصيل السعادتين على منهج الوحيين (أبحاث في علم النفس ـ مجلد).

4 ـ منهج الوحيين في معالجة زلل النفس وتسلّط الجن (أبحاث في علم النفس ـ مجلد).

5 ـ الأمراض النفسية وعوامل الشد إلى الخلف (أبحاث في علم النفس ـ مجلد).

6 ـ الحج والعمرة على منهج الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة.

7 ـ علوم الحديث وتراجم أعلامه وفرسانه.

8 ـ السياسة الشرعية على منهج الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة.

9 ـ التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون (8 ـ مجلدات).

10 ـ نظرية المرونة ـ دراسة تحليلية وتطبيقات هندسية ـ جامعة دمشق.

11 ـ الرياضيات المتقدمة للمهندسين ـ كلية الهندسة المدنية ـ جامعة دمشق.

إضافة إلى موضوعات وأبحاث علمية متنوعة قيد الإنجاز.

المساجد التي تعاقب على الخطابة والتدريس فيها:

أ ـ مابين الأعوام 1987 ـ 1993.

1 ـ مسجد الصديق ـ ستيل وتر ـ أوكلاهوما ـ الولايات المتحدة الأمريكية.

2 ـ مسجد حمزة ـ فيتفل ـ آركنساس ـ الولايات المتحدة الأمريكية.

3 ـ المراكز الإسلامية في ولاية: نيوجرسي، تكساس، كاليفورنيا، أوكلاهوما، آركنساس، وغيرها في الولايات المتحدة الأمريكية.

ب ـ مابين الأعوام 1994 ـ 2006.

1 ـ مسجد عمار بن ياسر ـ قرىٰ الأسد ـ دمشق.

2 ـ مسجد البراء بن عازب ـ باب شرقي ـ دمشق.

3 ـ مسجد الخجا ـ حيّ المزّة ـ دمشق.

4 ـ مسجد الحسن ـ أبو رمانة ـ دمشق.

5 ـ مسجد القزاز ـ حي برزة ـ دمشق.

6 ـ مصلىٰ العيد ـ جبل قاسيون ـ دمشق.

إضافة إلى مساجد متفرقة أخرىٰ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفره ، ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

أما بعد: فإن خير الكلام كتاب الله ، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وإنَّ الله سبحانه في كتابه الكريم قد أثنىٰ على القرآن العظيم ، فوصفه في أوصاف عالية ، هي في منتهىٰ الفخامة :

1 ـ مبين . قال تعالى : ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف : 1] .

2 ـ عظيم . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : 87] .

3 ـ مجيد . قال تعالى : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق : 1] .

4 ـ حكيم . قال تعالى : ﴿ يٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يس : 1 ـ 2] .

5 – ذو ذكر . قال تعالى : ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص : 1] .

6 ـ كريم . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : 77 ـ 78] .

7 ـ مبارك. قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92].

8 ـ روح. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: 52].

9 ـ بشير ونذير. قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: 1 ـ 4].

10 ـ عزيز. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: 41].

11 ـ علي. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4].

هذا الثناء الرفيع من الله سبحانهُ على كتابهِ قد لفت انتباه المسلم الصحابي فأفردهُ بمكانة خاصة في حياته حفظاً وتلاوة وتدبراً وعملاً.

وقد أنزل الله تعالى هذا القرآن مُنَجَّماً مفرقاً على الوقائع ليكون ذلك أثبت في الفهم والحفظ والتدبر، فكان الصحابة لا يتجاوزون عَشْر الآيات منه حتىٰ يتقنوا تلاوتها وحفظها ويقوموا بها ويعملوا بمقتضاها، ثم يغادروا إلى عشر آيات غيرها، وهو أمر حَريّ بالمسلمين اليوم أن ينتبهوا له عند تعليمهم أبناءهم كتاب الله في المساجد أو البيوت أو حلق العلم والذكر، فلا يكون الهدف هو التسابق في الحفظ فحسب لِيُنسىٰ بعد أيام أو سنين إن لم يتعاهده صاحبهُ من التفلت، وكذلكَ لا يكون الجهد كله منصباً على حراسة الحفظ فحسب دون العناية بالفهم والتفسير والأحكام والواجبات وربط القرآن بالحياة، فهذا أمر غفل عنهُ كثير من المسلمين اليوم، فإذا جاءت الفتن فلا ينفع الحفظ الذي لم يقترن بالتفسير وفهم سنن الله وأحكامهِ في الأمم، ونواميس التغيير في الأحوال والنعم، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته ومحامده ووعده ووعيده وما أَخَّرَ للمسرفين من العذاب والنِّقم، ولكن إذا اقترن الحفظ وحسن التلاوة بحسن الفهم والعمل ثم الانتقال بعد ذلكَ إلى غيرها من الآيات كان أقرب لطريقة النبي ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم.

ثمرات علم التفسير:

1 ـ فهم كتاب الله العظيم، الذي أنزله بلسان عربي مبين.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2].

2 ـ التأمل والتدبر بآيات هذا الكتاب الكريم ، فهو الكتاب المعجز والحجّة والذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: 24].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: 29].

قال القرطبي: (فالواجب على من خَصَّهُ الله بحفظ كتابه أن يتلوهُ حق تلاوته ، ويتدبّر حقائق عبارته ، ويتفَهّمَ عجائبه ، ويتبيّن غرائبه).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعاً: [والقرآن حجةٌ لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها][1].

وفي جامع الترمذي ومستدرك الحاكم بسند صحيح عن جبير بن نفير عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً: [إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه. يعني القرآن][2].

3 ـ أخذ الحِكَم والفوائد والدروس من الآيات للاعتبار ، ومعرفة علل النواهي والأوامر والأخبار.

قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 38].

فالقرآن كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلنا ، وخبرُ ما بعدنا ، وحكم ما بيننا ، وهو الفصل ليس بالهَزْل ، مَنْ تركه مِنْ جبّار قصمه الله ، ومن ابتغىٰ الهُدىٰ في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعّب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يملّه الأتقياء ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد ،

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (223) ، وأحمد (5/ 342) ، والدارمي (658) ، والبيهقي (1/ 10).

(2) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (2/ 150) عن جبير بن نفير مرفوعاً مرسلاً ، وأخرجه الحاكم (1/ 555) موصولاً كما يتضح من السند ، وكذلكَ البيهقي في «الأسماء والصفات» (236) ، ورجاله ثقات ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (961).

ولا تنقضي عجائبهُ ، مَنْ علِمَ علمهُ سبَق ، ومَنْ حكم به عدل ، ومَنْ عملَ بهِ أُجِرَ ، ومن دعا إليهِ هدي إلى صراط مستقيم .

روىٰ مسلم وأهل السنن من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [من سلك طريقاً يلتمس فيه عِلماً سَهّل اللهُ له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمعَ قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم اللهُ فيمن عنده ، ومن أبطأ به عملهُ لم يُسرع به نسبه][1] .

4 ـ وقوع الخشيـة والرهبـة في القلب ، نتيجـة التأثر بمعاني كلام الرب .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : 23] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : 16] .

ثم إن خشوع قلوب المؤمنين للقرآن العظيم ، يُقابل بشفاعة القرآن لهم يوم الدين .

ففي صحيح ابن حبان بإسناد جيد عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : [القرآنُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ ، من جَعَلَهُ أمامَهُ ، قادَهُ إلى الجنة ، ومَنْ جَعَلَهُ خلفَ ظَهرِهِ ، ساقَهُ إلى النار][2] .

وقوله : «وَمَاحِلٌ مصدق» . أي : خصم مجادل مُصَدَّقٌ ، والمماحلة في كلام العرب المماكرة ، والمكايدة ، فالقرآن شافع لأهله أهل الخشية والإيمان ، خَصْمٌ مجادِلٌ لمنكريه أهل المكر والطغيان .

5 ـ وقوع الطمأنينة على القلوب ، نتيجة العلم بآفاق كلام المحبوب .

فالطمأنينةُ تنزل على قلوب أهل الإيمان ، الذين هم أهل العلم بالقرآن ، أهل الله وخاصتهُ من الإنس والجان .

---

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2699) ، و(2700) ، وأبو داود (4946) ، والترمذي (2945) ، والنسائي في «الكبرىٰ» (4/ 308 ـ 309) ، وابن ماجة (225) ، ورواه أحمد في المسند (2/ 52) .

(2) حديث صحيح . أخرجه ابن حبان (1793) ، وأشار المنذري في «الترغيب» (2/ 207) إلى تقويته ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (2019) وقال : إسناده جيد ، رجاله ثقات .

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28].

وفي سنن ابن ماجة والنسائي بإسناد حسن عن أنس بن مالك، قال: [قال رسول الله ﷺ: إنَّ لله أهلينَ من الناس. قالوا: يا رسول الله! مَنْ هُمْ؟ قال: هُمْ أهل القُرآن، أهلُ اللهِ وخاصّتهُ][1].

وفي الأثر عن عثمان: (لو سلمت قلوبكم ما شبعتم من كتاب الله تعالى).

6 ـ معرفة ضوابط وقواعد أصول الدين والسلوك والأحكام، نتيجة التفسير والتحليل المنهجي لآيات هذا القرآن.

ففي علم التفسير علم الأصول والقواعد والأحكام، وفهم ميزان وضوابط الحلال والحرام، وإلا فإن في الجهل والفوضىٰ الهلاك وخراب البنيان.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء: 82 ـ 83].

وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أبي جهيم مرفوعاً: [لا تُماروا في القرآن، فإن مِراءً في القرآن كُفر][2].

وفي مسند أحمد ـ كذلكَ ـ عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [هلاك أمتي في الكتاب واللّبن. قالوا: يا رسول الله! ما الكتاب واللبن؟ قال: يتعلمون القرآن فيتأولونه على غير ما أنزل الله عز وجل، ويحبون اللبن فيدعون الجماعات والجمع ويبدون[3]][4].

7 ـ معرفة منهاج الشريعة في تقرير الأحكام، ومعالجة مستجدات الأمور التي طرأت عبر الزمان.

---

(1) حديث حسن. أخرجه ابن ماجة (215)، والنسائي في «الكبرىٰ» (8031)، والحاكم (1/ 556) وإسناده حسن، رجاله ثقات. وانظر صحيح سنن ابن ماجة (178).

(2) حديث صحيح. انظر مسند أحمد (4/ 169 ـ 170)، وصحيح الجامع (4320)، وسندهُ صحيح.

(3) أي يخرجون إلى البادية لطلب اللبن في المراعي على حساب ترك الجماعات والجمع والاهتمام بالدين. وهو شأن كثير من أهل هذا الزمان.

(4) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (4/ 155)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2778).

ففي علم التفسير علم الدنيا والآخرة ، وتقرير مناهج بناء النفس والأسرة والمجتمع والدولة ، وتأصيل القواعد والأصول لدراسة مستجدات الأمور في حياة المسلمين ، على منهاج التفسير المستنبط من نور الوحيين .

قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : 44] .

قال الإمام أحمد كما يروي عنه أبو الحارث : (لا يجوز الإفتاء إلا لرجل عالمٍ بالكتاب والسنة) ـ أعلام الموقعين .

أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» بسند صحيح عن أبي ذر قال : [تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً ، فقال ﷺ : ما بقي شيءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الجنة ويُباعد من النار إلا وقد بُيِّنَ لكم][1] .

8 ـ فوائد علمية أخرىٰ كثيرة ، لا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى .

إنَّ هذا الكتاب الذي أقدّمهُ اليوم للأمة هو تفسير الوحي العظيم ، على منهج الوحيين وفهم الصحابة والتابعين ، وهو منهاج متكامل في فهم كتاب الله عز وجل ، لا يقتصر على فهم الآيات وذكر معانيها ، بل يتعداه إلى ربطها بما صَحَّ من أسباب نزولها ، واستنباط الفقه والأحكام الشرعية المتعلقة بها ، ووصلها بعلوم من صحيح السنة العطرة تتصل بآفاقها ، وبقواعد السياسة الشرعية ، وأصول الفقه المستنبطة منها ومن منهاج السيرة النبوية المطهرة .

وقد كنتُ بدأت في مشروع هذا التفسير أيام التخصص في الولايات المتحدة الأمريكية ، نتيجة للشعور بضياع المسلمين وجماعاتهم في متاهات الرأي والهوىٰ والحزبية ، والتجرؤ على تحريف فهم الآيات والنصوص الشرعية ، لتناسب مناهجهم التي وضعها لهم مشايخهم والتي هي في كثير من أحوالها تقليد لمناهج أرضية ، وتنحرف في بنائها عن منهاج صحيح السيرة النبوية .

ولما كانت التفاسير الموجودة في تاريخنا وعالمنا الإسلامي تفتقر أحياناً إلى المنهج ، وأحياناً إلى التأصيل ، وأحياناً إلى علوم الوحي الثاني «السنة الصحيحة

(1) حديث صحيح . أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (1647) ، وأخرجه أحمد (5/ 153) من طريق آخر عند أبي ذر . وبنحوه البزار (147) . وانظر السلسلة الصحيحة (1803) .

المطهرة» ، بل يشكل بعضها ـ أحياناً ـ صورة من الفوضىٰ والضياع لا يخلص طالب العلم معها إلى فهم دقيق واضح لكثير من الآيات المتشابهات ، أضف إلى ذلك امتلاء بعضها أو أكثرها بالإسرائيليات والأخبار الواهية والقصص المكذوبة ، والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والأقوال الكثيرة المتعارضة ، وغير ذلكَ من العيوب ، فقد دفعني هذا الركام من المشكلات إلى الاستعانة بالله على تفسير أصيل يبث في الأمة معاني القرآن بروح الوحيين وجمال منهاج النبوة ، بعيداً عن الرأي والفلسفة وعلم الكلام والخرافات ، والقصص الواهية والإسرائيليات ، وفوضىٰ المعاني والأقوال والتناقضات ، وهو في الوقت ذاته تفسير عصري يواكب فهم المستجدات ، وعصر العلوم والاكتشافات .

وقد أفدت من معظم كتب التفسير في ذلكَ ، فإنها تبقىٰ الأصل والمرجع لكل الباحثين ـ جزىٰ الله المفسرين عن الأمةِ خير الجزاء ـ كما أفدت من ميراث المحدثين والفقهاء وبحوث السنة والسياسة الشرعية والسيرة النبوية ومعاجم اللغة العربية ، وقد اجتهدت وبذلت أقصىٰ الجهد في تنقية هذا التفسير من كل حديث لا يصح عن النبي ﷺ ، وذكرت درجة صحة كل حديث ومصادره التي يُرجع إليه فيها ، فأضفته إلى من خَرَّجَهُ من الأئمة الأعلام ، والثقات المشاهير من علماء الإسلام ، ونسبت كل قول في التفسير إلى قائلهِ ، من الصحابة أو التابعين ، أو كبار العلماء والمفسرين ، فإنه كما يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله. وقد سعيت إلى تفنيد الأقوال ، والجمع بين بعضها إن سمحت الأحوال ، وتوجيه المعنىٰ ليخلص من تناقضات آراء الرجال.

وقد سمّيتهُ: «التفسير المأمون ، على منهج التنزيل والصحيح المسنون» ، ليكون موسوعة في علوم الوحيين: القرآن الكريم والسنة الصحيحة العطرة ، فلا يصدر الفهم إلا منهما ، ولا يتفرقان حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها. وقد عملته تذكرة لنفسي ، وإحياء وإنقاذاً لأمتي ، وذخيرة ليوم رَمْسي[1] ، وعملاً صالحاً أستأنس بهِ في حياتي وبعد موتي.

فالحمدُ لله الذي جعل صدري وعاء للوحيين ، وحرّك قلمي لتصنيف علوم الملة والدين ، وتبليغ الأمة ميراث سيد المرسلين ، فإن أصبت فإنما هو مَنٌّ الله تعالى عليَّ

(1) الرَّمْسُ: الدفن.

وتوفيقه وفضله وكرمه ، وإن أخطأتُ فإنما ذلكَ من نفسي وتقصيري ومن الشيطان ، وأستغفر الله من ذلك .

اللهم إني أسألكَ بحبك لتفسير كلامكَ بوحيك وهدي نبيكَ أن تتقبل مني هذا العمل إنك أنتَ السميع العليم ، وأن تجمعني بنبيك محمد ﷺ في جنة الفردوس تحت ظل عرشك العظيم ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن تجعل هذا التفسير يضيء بيوت وحياة المسلمين في أرجاء المعمورة ، وأن يكون عماداً لخلافة راشدة على منهاج النبوة ، إنك أنتَ البر الرحيم ، والحمدُ لله رب العالمين

دمشق : 6/ ربيع الآخر/ 1427/ هـ . الموافق 4/ أيار/ 2006 م .

وكتبه

مأمون أحمد راتب حموش

أئمة التفسير من الصحابة ومدارسهم وتراجمهم

1 ـ **المدرسة المكية**: أستاذها الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ، وعنه أخذ سعيد بن جبير ، ومجاهد وعكرمة وطاووس وعطاء وغيرهم.

2 ـ **المدرسة المدنية**: أستاذُها أُبي بن كعب ، وعنهُ أخذ زيد بن أسلم وأبو العالية رفيع بن مهران ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم.

3 ـ **المدرسة العراقية**: أستاذها عبد الله بن مسعود ، أخذ عنه: علقمة ومسروق بن الأجدع والأسود ، ثم من بعدهم: الحسن البصري وعامر بن شراحيل الشعبي وقتادة وغيرهم.

أولاً: المدرسة المكية:

1 ـ **عبد الله بن عباس**: هو الإمام البحر عالم العصر وحبر الأمة ، مات رسول الله ﷺ وله ثلاث عشرة سنة ، وقد دعا لهُ النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: [ضمَّني النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة][1]. و في رواية: [اللهم علمه الكتاب].

قال البخاري: (والحكمة: الإصابة في غير النبوة).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس: [أن النبي ﷺ أتىٰ الخلاء ، فوضعتُ له وَضوءاً ، فلما خرج قال: مَنْ وضعَ هذا؟ قلت: ابنُ عباس ، قال: اللهم فَقِّههُ في الدين][2].

---

(1) حديث صحيح. أخرجهُ البخاري (3756) ـ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ذكر ابن عباس رضي اللهُ عنهما. وانظر صحيح سنن الترمذي (3004) ـ في المناقب.

(2) حديث صحيح. أخرجهُ مسلم في الصحيح ـ حديث رقم ـ (2477) ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل عبد الله بن عباس رضي اللهُ عَنْهُما.

وأخرج ابن ماجة في السنن بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: [ضَمَّني رسول الله ﷺ إليه ، وقال: اللهم عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ وَتأويلَ الكتاب][1].

وأخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال: [دعا لي رسول الله ﷺ: أن يؤتيني الله الحكم مرتين][2].

فابن عباس هو أكثر الصحابة وأشهرهم تفسيراً للقرآن الكريم ، وكان لهُ مدرسة تخرج فيها مجاهد وعكرمة وغيرهما ، وروىٰ له الأئمة الستة.

وروىٰ الأعمش عن أبي وائل: (استعمل عليٌّ ابنَ عباس على الحج فخطب يومئذٍ خطبة ، لو سمعها الترك والروم لأسلموا ، ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها).

وكان عبد الله بن مسعود يقول: (نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس).

وقد شهد له بالفضل ـ وهو شاب في عنفوان الصبا ـ كبار الصحابة حتىٰ كان ينافسهم وينتزع إعجابهم مع حداثة سنِّه ، وكان عمر رضي اللهُ عَنْهُ يدخله إلى مجلس الشورىٰ مع كبار الصحابة الأجلاء يستشيرهم ، وربما عرض الأمر عليهِ ، وكان تقدير عمر لابن عباس مثار جدل عند بعض الصحابة. حتىٰ قال بعضهم: «لم يدخل هذا الشاب معنا وعندنا من الأولاد من هو أكبر منه سناً». وله قصة رواها البخاري في صحيحه تدلُ على غزارة علمهِ ، وعلو شأنه في الغوص على دقائق أسرار القرآن ، وهي مذكورة عند تفسير سورة النصر.

ومن أهم شيوخ ابن عباس الذين استقىٰ منهم علومه بعد رسول الله ﷺ: (عمر بن الخطاب ، وأبي بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت).

توفي بالطائف سنة ثمان وستين. (تذكرة الحفاظ 1/ 40).

2 ـ **سعيد بن جبير**: هو الإمام الكوفي المقرئ الفقيه أحد الأعلام ، ولد سنة (45) هجرية ، وهو من أكابر التابعين علماً وورعاً ، سمع ابن عباس وابن عمر وطائفة ، وروىٰ عنه الأعمش وأيوب. وقد اشتهر بتفسير كتاب الله عزَّ وجل ، وكان طوداً شامخاً ، وعلماً لامعاً ، تناقل علمه الرجال ، وسرت بذكره الركبان.

قال سفيان الثوري: (خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحّاك).

---

(1) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجة (166) في السنن ـ باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ.

(2) حديث صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي (3003) ـ مناقب عبد الله بن العباس رضي اللهُ عَنْهُما.

وقال قتادة: (كان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير). (الإتقان ص 189). وكان آية في الحفظ، يحفظ ما يسمع، وقد شهد له ابن عباس بالحفظ حتىٰ قال له: (انظر كيف تحدّث عني فإنك قد حفظت عني حديثاً كثيراً).

وكان ابن عباس إذا حجّ أهل الكوفة وسألوهُ يقول: (أليس فيكم سعيد بن جبير؟!).

وقد كان عابداً زاهداً، وكان لا يدع أحداً يغتاب عنده.

وجاء في ترجمته في الأعلام: «سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبد الله تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، ولما خرجَ عبد الرحمن بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، كان سعيد بن جبير معه، فلما قتل عبد الرحمن ذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله[1]، وكان الحجاج يخاطبه (بشقي بن كسير) بدل سعيد بن جبير.

قال أحمد بن حنبل: قتل الحجّاجُ سعيداً، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه».

3 ـ **مجاهد بن جبر**: هو الإمام المخزومي مولاهم المكي المقرئ المفسر الحافظ. ولد سنة (21) هجرية، وكنيته (أبو الحجّاج).

وكان من أشهر العلماء في التفسير، وقد سمع سعداً وعائشة وأبا هريرة وابن عمر وابن عباس ولزمه مدة وقرأ عليه القرآن.

قال عنه الذهبي: (شيخ القراء والمفسرين بلا مراء، أخذ التفسير عن ابن عباس)[2]. وكان من أخص تلامذته، ومن أوثق من روىٰ عَنْهُ، ولهذا يعتمد البخاري كثيراً على تفسيره كما يعتمد كثير من المفسرين على روايته، تَنَقَّلَ في الأسفار، واستقر في الكوفة. قال قتادة: (أعلم من بقي بالتفسير مجاهد).

تلقّىٰ مجاهد تفسير كتاب الله عن شيخه الجليل (ابن عباس) وقرأه عليهِ قراءة تَفَهّم وتدبّر، ووقوفٍ عند كل آية من آيات القرآن، يسأله عن معناها، ويستفسره عن أسرارها.

---

(1) كان قتله سنة (94) أو (95) هجرية.

(2) انظر الأعلام ج(6)، ص (161).

روى الفضيل بن ميمون عن مجاهد أنه قال: (عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية منه أسألهُ عنها: فيم أنزلت؟ وكيف أنزلت؟).

وهذا العرض من مجاهد رحمه الله على شيخه الجليل إنما كان طلباً لتفسيره ومعرفة أسراره ودقائقه ، وتفهم حكمه وأحكامه ، ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله: (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به).

روىٰ عنه الأئمة الستة ، وتوفي سنة (103) هجرية ، وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة. (تذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 92).

4 ـ **عكرمة مولىٰ ابن عباس**: هو أبو عبد الله البربري ثم المدني الهاشمي مولىٰ ابن عباس ، ولد سنة (25) هجرية ، روىٰ عن مولاه وعائشة وأبي هريرة ، وحدث عنهُ أيوب والحذاء وخلق ، روىٰ له الستة.

تلقىٰ علمه على ابن عباس ، وأخذ عنه القرآن والسنة ، وكان رحمه الله يقول: (لقد فسّرت ما بين اللوحين ـ يعني دفتي المصحف ـ وكل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس).

وقال أيضاً: (طلبت العلم أربعين سنة ، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن).

قال الشافعي رحمه الله: (ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة).

وكان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا ، ما دام عكرمة بالبصرة ، قاله قرة بن خالد.

وجاء في تعريفهِ في كتاب الأعلام: «عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولىٰ عبد الله بن عباس ، تابعي ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، طاف البلدان ، وروىٰ عنه زهاء ثلاث مئة رجل ، منهم أكثر من سبعين تابعياً ، وخرج إلى بلاد المغرب ، فأخذ عن أهلها ثم عاد إلى المدينة المنورة ، فطلبه أميرها فتغيَّبَ عنه حتىٰ مات ، وكانت وفاته بالمدينة هو والشاعر المشهور (كثير عزّة) في يوم واحد فقيل: «مات أعلم الناس ، وأشعر الناس»[1].

توفي سنة (107) هجرية بالمدينة. (تذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 95).

---

(1) انظر «الأعلام» للزركلي ، ج (5) ، ص (43).

5 ـ **طاووس بن كيسان اليماني**: ولد سنة (33) هجرية وتوفي سنة (106) هجرية، واشتهر بتفسير كتاب الله تعالى.

كان آية في الحفظ والنبوغ والذكاء، وآية في الورع والتقشف والصلاح، أدرك من الصحابة نحو خمسين صحابياً، وتلقىٰ العلم عنه خلق كثير، وقد كان عابداً زاهداً، ورد أنّه حجّ بيت الله الحرام أربعين مرة، وكان مستجاب الدعوة، قال فيهِ ابن عباس: (إني لأظن طاووساً من أهل الجنة).

جاء في تعريفه في كتاب الأعلام: «طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين تفقهاً في الدين، ورواية للحديث، وتقشفاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك، أصله من الفرس، ومولده ومنشؤه باليمن، توفي حاجاً بالمزدلفة، وكان (هشام بن عبد الملك) حاجاً تلكَ السنة فصلّىٰ عليهِ، وكان يأبىٰ القرب من الملوك والأمراء. قال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذرّ، وطاووس، والثوري»[1].

6 ـ **عطاء بن أبي رباح**: ولد سنة (27) هجرية، وتوفي سنة (114) هجرية. نشأ بمكة وكان مفتي أهلها ومحدثهم، وهو تابعي من أجلّاء الفقهاء، وكان ثبتاً ثقةً في الرواية عن ابن عباس[2].

قال عنه الإمام أبو حنيفة النعمان: (ما لقيت أحداً أفضل من عطاء بن أبي رباح).

وقال قتادة: (أعلم التابعين أربعة: عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وسعيد ابن جبير أعلمهم بالتفسير... إلخ).

توفي رضي اللهُ عنهُ بمكة ودفن فيها عن (87) سبع وثمانين سنة.

ثانياً: المدرسة المدنية

1 ـ **أبي بن كعب**: هو الصحابي الجليل الأنصاري من الخزرج، شهد العقبة وبدراً وبقية المشاهد. وكانَ من كتبة الوحي والرسائل ومن حفظةِ القرآن الكريم وعلماء التفسير.

---

(1) انظر «الأعلام» ج (3)، ص (322).

(2) انظر «الأعلام» للزركلي ج (5)، ص (29).

قال السيوطي في «الإتقان»: (اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسىٰ الأشعري، وعبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من رُوي عنه منهم «علي بن أبي طالب» كرم اللهُ وجهه، والرواية عن الثلاثة قليلة جداً، وكأن السبب في ذلك تقدّم وفاتهم).

وفي صحيح البخاري عن مسروق قال: ذُكِرَ عبدُ الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاكَ رجلٌ لا أزالُ أحِبُّهُ، سَمِعْتُ النبي ﷺ يقول: [خُذوا القُرآن من أربعة (وفي رواية: استقرِئوا القرآن من أربعة): من عبد الله بن مسعود ـ فبدأ به ـ وسالمٍ مَوْلىٰ أبي حُذيفة، ومعاذِ بنِ جَبَلٍ، وأُبَيّ بنِ كَعْبٍ][1].

وفي صحيح البخاري ـ أيضاً ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: [قال النبي ﷺ لأُبَيّ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب» [البينة: 1] قال: وسمّاني؟ قال: نعم. قال: فبكىٰ][2].

وفي سنن ابن ماجة من حديث أنس مرفوعاً: [وأقرؤهم لكتاب الله أُبَيّ بن كعب][3].

2 ـ **زيد بن أسلم**: هو زيد بن أسلم العدوي العمري، يكنىٰ (أبا أسامة) وهو فقيه محدّث من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، واستقدمه (الوليد بن يزيد) في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مستفتياً في أمر، وكانَ ثقة كثير الحديث له حلقة كبيرة في المسجد النبوي الشريف، ولهُ كتاب في التفسير رواه عنهُ ولده (عبد الرحمن) وقد كان رجلاً مهيباً، قال ابن عجلان: (ما هبت أحداً قطّ هيبتي لزيد بن أسلم).

وكان (علي بن الحسين) يجلس إليه فيستمع له ويترك مجالس قومه، فقيل له في ذلك: تترك مجالس قومكَ إلى عبد عمر بن الخطاب (حيث كان مولىٰ لعمر)! فقال عليّ: (إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه).

---

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3808) ـ كتاب مناقب الأنصار، وانظر كذلكَ الحديث (3758).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح ـ حديث رقم ـ (3809) ـ كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبي بن كعب رضي اللهُ عَنْهُ.

(3) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجة (154) ـ في أثناء حديث أطول. انظر صحيح سنن ابن ماجة (125).